عثمان بن عفان .. ذو النورين

عثمان بن عفان رضي الله عنه، الصحابي الجليل والخليفة الثالث، يعدّ من الشخصيات الإسلامية البارزة التي تركت أثرًا عميقًا في تاريخ الإسلام وحضارته. عُرف عثمان بن عفان برجاحة عقله وطيب خلقه وورعه وحياءه، وقد نال محبة الرسول ﷺ وزواجه من اثنتين من بناته، ما أكسبه لقب "ذو النورين". كانت سيرته حافلةً بالعطاء والإنفاق في سبيل الله، وسعيه الدؤوب لنشر الإسلام وتثبيت دعائمه، مما جعله قدوةً للأجيال المتعاقبة. في هذا المقال، نستعرض أهم ملامح حياة عثمان بن عفان رضي الله عنه وإسهاماته، مع التركيز على مراحل حياته ودوره في حفظ الحديث النبوي، فضلاً عن مواقفه الإنسانية التي خلدت في تاريخ الإسلام.

عثمان بن عفان رضي الله عنه هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، من السابقين إلى الإسلام، وثالث الخلفاء الراشدين، في عهده تم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد. لُقب "ذو النورين" لأنه تزوج أثنتين من بنات الرسول ﷺ (رقية وأم كلثوم). كان أول مهاجر إلى أرض الحبشة لحفظ الإسلام، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة المنورة. وكان الرسول يحبه، فبشره بالجنة وأخبره بأنه سيموت شهيدا.

من خلال الأسطر التالية نتعرف على موجز لسيرة الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

نسب عثمان بن عفان ولقبه وكنيته

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر العدوي القرشي. ولد في مكة بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح.

أبوه هو عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. من بطن بني أمية ومن ساداتها وكان كريما جوادا وكان من كبار الأثرياء، وهو ابن عم الصحابي الجليل أبي سفيان بن حرب لحاً. يلتقي نسبه مع رسول الله في الجد الرابع من جهة أبيه.

أمه هي الصحابية الجليلة أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وأروى هي ابنة عمة النبي ﷺ، فأمها هي البيضاء بنت عبد المطلب عمة الرسول.

لماذا تستحي الملائكة من عثمان بن عفان؟

ورد في الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ أنه قال: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟" [صحيح مسلم]، في إشارةٍ إلى عثمان بن عفان. كان عثمان رجلًا حيِيًّا متواضعًا، عُرف بورعه وحياءه، حتى بلغ حياؤه أن الملائكة نفسها كانت تستحي منه. وقد رُوي أن النبي كان يجلس في بيته متكئًا، فلما دخل عثمان اعتدل في جلسته وأخذ هيئته، وعندما سئل عن السبب قال: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة". هذا الموقف يعكس مدى عظمة أخلاق عثمان وقوة شخصيته النقية.

لُقب رضي الله عنه بذي النورين، والمراد بالنورين ابنتا النبي ﷺ رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما، حيث زوجه النبي ﷺ ابنته رقية، وحين توفيت زوجه ابنته الثانية أم كلثوم. وفي ذلك يقول عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي: قال لي خالي حسين الجعفي: يا بني، أتدري لما سمي عثمان ذا النورين؟ قلت: لا أدري. قال: لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خُلِق آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان بن عفان، فلذلك سمي ذا النورين.

كان عثمان بن عفان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما ولد له من رقية بنت رسول الله ﷺ غلام سماه عبد الله، واكتنى به، فكناه المسلمون أبا عبد الله.

عثمان بن عفان في العهد النبوي

أسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه في بدايات الدعوة الإسلامية على يد أبي بكر الصديق، وكان من أوائل الصحابة الذين اعتنقوا الإسلام وتحملوا مشاق الدعوة في مكة. عُرف عثمان برجاحة عقله ونبله، وكان ممن هاجروا إلى الحبشة مرتين طلبًا للأمان، ولما هاجر المسلمون إلى المدينة كان عثمان في مقدمتهم. تميز عثمان بحبه للرسول ﷺ، وكان مستعدًا دومًا للتضحية بالغالي والنفيس نصرة للإسلام، حتى أنه زوّجه الرسول بابنته رقية، وبعد وفاتها زوّجه ابنته أم كلثوم، ليحمل بذلك لقب "ذو النورين" لشرف زواجه من ابنتي الرسول.

عثمان بن عفان رضي الله عنه

كان عثمان رضي الله عنه قد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام، ولم يعرف عنه تلكؤًا أو تلعثمًا بل كان سبَّاقًا أجاب على الفور دعوة الصديق، فكان بذلك من السابقين الأولين، فكان بذلك رابع من أسلم من الرجال.

ولعل هذا السبق إلى الإسلام كان نتيجة لما حدث له عند عودته من الشام، وقد قصه رضي الله عنه على رسول الله ﷺ حين دخل عليه هو وطلحة بن عبيد الله، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن، وأنبأهما بحقوق الإسلام، ووعدهما الكرامة من الله، فآمنا وصدقا، فقال عثمان: "يا رسول الله، قدمت حديثًا من الشام، فلما كان بين معان والزرقاء، فنحن كالنيام فإذا منادٍ يناديا: أيها النيام هبُّوا، فإن أحمد قد خرج بمكة. فقدمنا فسمعنا بك".

لا شك أن هذه الحادثة تترك في نفس صاحبها أثرًا عجيبًا لا يستطيع أن يتخلى عنه عندما يرى الحقيقة ماثلة بين عينيه، فمن ذا الذي يسمح بخروج النبي قبل أن يصلي إلى البلد الذي يعيش فيه، حتى إذا نزله ووجد الأحداث والحقائق تنطق كلها بصدق ما سمع به، ثم يتردد في إجابة الدعوة؟

فقد تأمل في هذه الدعوة الجديدة بهدوء كعادته في معالجة الأمور، فوجد أنها دعوة إلى الفضيلة ونبذ الرذيلة، دعوة إلى التوحيد وتحذير من الشرك، دعوة إلى العبادة وترهيب من الغفلة، ودعوة إلى الأخلاق الفاضلة وترهيب من الأخلاق السيئة، ثم نظر إلى قومه فإذا هم يعبدون الأوثان ويأكلون الميتة، ويسيئون الجوار، ويستحلون المحارم، وإذا بالنبي محمد ﷺ صادق أمين يعرف عنه كل خير ولا يعرف عنه شر قط، فلم تُعهد عليه كذبة، ولم تحسب عليه خيانة.

أسلم رضي الله عنه على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومضى في إيمانه قدمًا، قويًّا هاديًا، وديعًا صابرًا عظيمًا راضيًا، عفوًّا كريمًا محسنًا رحيمًا سخيًّا باذلاً، يواسي المؤمنين ويعين المستضعفين، حتى اشتدت قناة الإسلام.

عثمان بن عفان في عهد أبي بكر وعمر

عمل عثمان بن عفان رضي الله عنه مستشارًا مخلصًا لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان محلًّا للثقة في العديد من القضايا، بما في ذلك الشورى في اختيار الخلفاء واتخاذ القرارات الحاسمة للأمة. في عهد عمر بن الخطاب، ساهم عثمان بشكل مباشر في تطوير نظام الإدارة المالية، وكان لعثمان دورٌ حيويٌ في توسعة المسجد النبوي، مما مكن المسلمين من أداء عباداتهم بشكل أكثر راحة، ويعدّ من أهم إنجازات فترة خلافته جمعه للقرآن في مصحف واحد، حفاظًا عليه من التحريف والاختلاف.

صفات عثمان بن عفان

كان رضي الله عنه رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل، رقيق البشرة، كث اللحية عظيمها، عظيم الكراديس (كل عظمتين التقتا في مفصل)، عظيم ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، يصفر لحيته، أضلع (رجل الشديد)، أروح الرجلين (يتدانى عقباه ويتباعد صدرا قدميه)، أقنى (أي طويل الأنف مع دقة أرنبته وحدب في وسطه)، خدل الساقين (أي ضخم الساقين)، طويل الذراعين، شعره قد كسا ذراعيه، جعد الشعر أحسن الناس ثغرًا، جمته أسفل من أذنيه (الجمة: مجتمع شعر الرأس)، حسن الوجه، والراجح أنه أبيض اللون، وقد قيل أسمر اللون.

كان رضي الله عنه في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه، فهو عريض الجاه ثري، شديد الحياء، عذب الكلمات، فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه، لم يسجد في الجاهلية لصنم قط، ولم يقترف فاحشة قط، فلم يشرب خمرا قبل الإسلام، وكان يقول: إنها تذهب العقل، والعقل أسمى ما منحه الله للإنسان، وعلى الإنسان أن يسمو به، لا أن يصارعه.

يقول عن نفسه رضي الله عنه: "مَا تَغَنَّيْتُ وَلاَ تَمَنَّيْتُ، وَلاَ مَسَسْتُ ذَكَرِي بِيَمِينِي مُنْذُ بَايَعْتُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلاَ شَرِبْتُ خَمْرًا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَمٍ، وَلاَ زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ فِي إِسْلاَمٍ".

كان رسول اللَّه ﷺ يثق بعثمان بن عفان ويحبه ويكرمه لحيائه ودماثة أخلاقه وحسن عشرته وما كان يبذله من المال لنصرة المسلمين، وبشّره بالجنة كأبي بكر وعمر وعلي وبقية العشرة، وأخبره بأنه سيموت شهيدًا.

استخلفه رسول اللَّه (ﷺ) على المدينة في غزوته إلى ذات الرقاع وإلى غطفان، وكان محبوبًا من قريش، وكان حليمًا، رقيق العواطف، كثير الإحسان. وكانت العلاقة بينه وبين أبي بكر وعمر وعليّ على أحسن ما يرام، ولم يكن من الخطباء، وكان أعلم الصحابة بالمناسك، حافظًا للقرآن، ولم يكن متقشفًا مثل عمر بن الخطاب بل كان يأكل اللين من الطعام.

ما هي أعظم مواقف سيدنا عثمان رضي الله عنه؟

عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت له مواقف عظيمة تُظهر ثباته وتفانيه في خدمة الدين.

من أعظم مواقف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه صبره وثباته على الحق أثناء الفتن، خاصة خلال فترة حصاره في المدينة المنورة قبل استشهاده، حيث رفض اللجوء إلى العنف أو سفك الدماء رغم الضغط الهائل عليه. فقد أصرَّ على عدم قتال المتمردين الذين تجمعوا حول منزله، حتى مع نصح العديد من الصحابة له باستخدام القوة للدفاع عن نفسه. كانت كلماته حينها: *"أموت ولا أسفك دمًا"*، معبرًا عن التزامه بعدم إدخال الأمة في حرب أهلية وصون الدماء، مفضلًا التضحية بنفسه على أن تُراق دماء المسلمين.

كما كان من مواقفه العظيمة في العطاء والتضحية المالية، مثل موقفه في تجهيز جيش العسرة في غزوة تبوك، حيث قدَّم مالًا وفيرًا وجهز ثلث الجيش بنفسه، فكان لكرمه هذا أثر عميق على المسلمين وعلى تثبيت دعائم الدولة. وقد قال الرسول ﷺ حينها: *"ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم"*، تقديرًا لتضحياته الكبيرة في سبيل الله ونصرة الإسلام.

ماذا فعل عثمان عندما مات الرسول؟

عندما توفي الرسول ﷺ، كان عثمان بن عفان رضي الله عنه من بين الصحابة الذين بادروا للقيام بواجباتهم، فسعى مع غيره من الصحابة لدعم أبي بكر الصديق رضي الله عنه في تثبيت أركان الخلافة. كان عثمان مستشارًا قويًّا لأبي بكر، وأدى دوره في جمع الأمة حول خليفتهم، وكان مشاركًا فاعلًا في جميع القرارات المصيرية. كما كان لعثمان دورٌ بارزٌ في جمع القرآن في عهد أبي بكر، حيث عمل على الحفاظ على كتاب الله ومراجعته لضمان دقته وسلامته من التحريف.

ومن أعظم أعماله أيضًا جمعه للقرآن الكريم في مصحف واحد، حيث خشي من اختلاف المسلمين في قراءة القرآن بعد توسع الفتوحات واختلاف اللهجات، فجمع الصحابة واتخذ قرارًا حاسمًا بجمع القرآن وتوحيد القراءة. أمر عثمان بكتابة المصحف الشريف بلغة قريش، وأرسل نسخًا منه إلى مختلف الأمصار الإسلامية، مما ساهم في حفظ كتاب الله من التحريف ووحّد الأمة على قراءة واحدة، وهذا يُعد من أكبر إنجازاته وأهمها في تاريخ الإسلام.

تجارته مع الله والإنفاق في سبيل الله

تميز عثمان بن عفان بسخاء منقطع النظير، فقد كان من أغنى قريش قبل الإسلام، وكان حبه للإنفاق في سبيل الله من أبرز صفاته. فعندما أصاب المسلمين شحٌّ في الماء بالمدينة، اشترى عثمان بئر رومة من رجل يهودي وجعلها وقفًا للمسلمين، حتى أصبح الماء مجانيًا لكل من احتاج. وعندما استعد المسلمون لمعركة تبوك، تكفّل عثمان بتجهيز ثلث الجيش، وأنفق آلاف الدنانير في سبيل الله. هذا السخاء جعل الرسول ﷺ يثني عليه ويدعو له، إذ قال: "ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم" [صحيح الترمذي].

أحسن زوجين رآهما إنسان رقية وعثمان

تزوج عثمان رضي الله عنه ثماني زوجات كلهن بعد الإسلام، لكن زواجه من رقية بنت رسول الله له قصة معروفة، فقد زوج رسول الله ﷺ رقية من عتبة بن أبي لهب، وزوج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة المسد: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}(المسد: 1-5). قال لهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية: فارقا ابنتي محمد. ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما، كرامةً من الله تعالى لهما، وهوانًا لابنَيْ أبي لهب.

عثمان بن عفان ورقية بنت محمد رسول الله

وما كاد عثمان بن عفان رضي الله عنه يسمع بخبر طلاق رقية حتى استطار فرحًا وبادر، فخطبها من رسول الله ﷺ، فزوجها الرسول الكريم ﷺ منه، وزفتها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وقد كان عثمان من أبهى قريش طلعة، وكانت هي تضاهيه قسامة وصباحة، فكان يقال لها حين زفت إليه: أحسن زوجين رآهما إنسان رقية وزوجها عثمان.

أما عن زواجه من أم كلثوم بنت رسول الله الثانية، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ وقف عند باب المسجد فقال: "يَا عُثْمَانَ، هَذَا جِبْرِيلُ أَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ قَدْ زَوَّجَكَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِمِثْلِ صَدَاقِ رُقَيَّةَ، وَعَلَى مِثْلِ صُحْبَتِهَا". وكان ذلك سنة ثلاث من الهجرة النبوية في ربيع الأول، وبنى بها في جمادى الآخرة.

ولما توفيت أم كلثوم -رضي الله عنها- في شعبان سنة تسع هجرية تأثر عثمان رضي الله عنه، وحزن حزنًا عظيمًا على فراقه لأم كلثوم، "ورأى رسول الله ﷺ عثمان وهو يسير منكسرًا، وفي وجهه حزن لما أصابه، فدنا منه وقال: لَوْ كَانَ عِنْدَنَا ثَالِثَةٌ لَزَوَّجْنَاكَهَا يَا عُثْمَانُ". وهذا دليل حب الرسول ﷺ لعثمان، ودليل وفاء عثمان لنبيه وتوقيره، وفيه دليل على نفي ما اعتاده الناس من التشاؤم في مثل هذا الموطن، فإن قدر الله ماضٍ وأمره نافذ، ولا راد لأمره.

أبناء عثمان بن عفان

كانوا تسعة أبناء من الذكور من خمس زوجات، وهم:

- عبد الله: ولد قبل الهجرة بعامين، وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ، وفي أوائل أيام الحياة في المدينة نقره الديك في وجهه قرب عينه، وأخذ مكان نقر الديك يتسع حتى مات في السنة الرابعة للهجرة، وكان عمره ست سنوات.

- عبد الله الأصغر: أمه فاختة بنت غزوان.

- عمرو: وأمه أم عمرو بنت جندب، وقد روى عن أبيه وعن أسامة بن زيد، وروى عنه علي بن الحسين وسعيد بن المسيب وأبو الزناد، وهو قليل الحديث، وتزوج رملة بنت معاوية بن أبي سفيان، توفي سنة ثمانين للهجرة.

- خالد: وأمه أم عمرو بنت جندب.

- أبان: وأمه أم عمرو بنت جندب كان إمامًا في الفقه يكنى أبا سعيد، تولى إمرة المدينة سبع سنين في عهد الملك بن مروان، سمع أباه وزيد بن ثابت، له أحاديث قليلة.

- عمر: وأمه أم عمرو بنت جندب.

- الوليد: وأمه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومية.

- سعيد: وأمه فاطمة بنت الوليد المخزومية، تولى أمر خراسان عام ستة وخمسين أيام معاوية بن أبي سفيان.

- عبد الملك: وأمه أم البنين بنت عيينة بن حصن، ومات صغيرًا.

- وأمَّا بناته فهن سبع من خمس نساء، منهن: مريم: وأمها أم عمرو بنت جندب، وأم سعيد: وأمها فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية، وعائشة: وأمها رملة بنت شيبة بن ربيعة، ومريم: وأمها نائلة بنت الفرافصة، وأم البنين: وأمها أم ولد.

جهوده في خدمة الحديث النبوي

كان لعثمان رضي الله عنه دور بارز في جمع وحفظ الحديث النبوي، فقد كان من الثقات الذين حفظوا الحديث ونقلوه بأمانة ودقة. بعد وفاة النبيﷺ، حرص عثمان على التأكد من دقة الأحاديث المنتشرة بين الناس، وتوثيقها بالرجوع إلى رواة موثوقين. وكان عثمان ينقل الحديث بصدق وأمانة، وقد نقلت عنه العديد من الأحاديث التي رواها عن النبي، مثل قوله ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلّمه" [صحيح البخاري]. أسهم عثمان في نقل السنة النبوية وتدريسها، ما ساهم في الحفاظ على الدين ونشر تعاليمه.

قصة الشورى وخلافة عثمان بن عفان

ولي عثمان بن عفان الخلافة وعمره 68 عامًا ،وقد تولى الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب، وفي اختياره للخلافة قصة تعرف بقصة الشورى وهي أنه لما طعن عمر بن الخطاب دعا ستة أشخاص من الصحابة وهم: علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ليختاروا من بينهم خليفة. وذهب المدعوون إلى لقاء عمر إلا طلحة بن عبيد الله فقد كان في سفر وأوصاهم بأختيار خليفة من بينهم في مدة أقصاها ثلاثة أيام من وفاته حرصا على وحدة المسلمين، فتشاور الصحابة فيما بينهم ثم أجمعوا على أختيار عثمان وبايعه المسلمون في المسجد بيعة عامة سنة 23 هـ فأصبح ثالث الخلفاء الراشدين.

من خلال هذه القصة ومن طريقة مبايعة عثمان بن عفان رضي الله عنه يمكننا استيعاب أهمية الشورى في أمور المسلمين بينهم، ومعرفة مدى ذكاء وفطنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي استحدث هذه الطريقة في اختيار الخليفةً. و المقصد طبعا كان ابتغاء مرضاة الله عز وجل ليس طمعاً في منصب أو جاه، فلم يتأخر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في المبايعة وكان أول من فعل ذلك بعد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. فلم تأخذه الأنانية، وإنما وحدة المسلمين ومرضاة الله تعالى كانت هي المقصد من ذلك كله.

مصحف عثمان والفتوحات في عهده

في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه أنتشر الإسلام في بلاد كبيرة وتفرق الصحابة مما أدى إلى ظهور قرائات متعددة وأنتشرت لهجات مختلفة فكان الخوف من أختلاف كتابة القران، وتغير لهجته، فجمع عثمان المسلمين على لغة قريش أي لهجة قريش وهي لهجة العرب. وتكتب الكتابة للقرآن بلسان العرب ويسمى (مصحف عثمان) أو المصحف الإمام. فكان من أهم إنجازاته جمع كتابة القرآن الكريم الذي كان قد بدء بجمعه في عهد الخليفة أبي بكر الصديق. وجمع القرآن الكريم في مصحف مكتوب برسمه إلى الوقت الحالي.

ومن أهم أعمال عثمان فتح مرو وتركيا وتوسيع الدولة الإسلامية وفتحت في أيام خلافة عثمان الإسكندرية ثم أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرص. وتمت في عهده توسعة المسجد النبوي عام 29ـ30 هـ، وقد أنشأ أول أسطول بحري إسلامي لحماية الشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين.

أقوال الصحابة في عثمان بن عفان

كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يحبون عثمان، ويقدرونه، ويعلمون له فضله وسبقه، وينفون عنه قول كل حاقد وفاسق. فقدكان عثمان من المجتهدين في العبادة، وقد رُوي من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود أيام الحج، وقد كان هذا من دأبه. وكان يفتتح القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس، وكان يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعة من أوله.

وعن عبد الرحمن بن عثمان القرشي، "أن رسول الله دخل على ابنته رقية، وهي تغسل رأس عثمان فقال: "يَا بُنَيَّةُ، أَحْسِنِي إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ أَشْبَهُ أَصْحَابِي بِي خُلُقًا".

السيدة عائشة رضي الله عنها

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله مضطجعًا في بيته كاشفًا عن ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، فدخل وهو على تلك الحالة فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوَّى ثيابه. قالت عائشة: يا رسول الله، دخل أبو بكر، فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟!

فقال رسول الله: أَلاَ أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ".

حدثنا يونس حدثنا عمر بن إبراهيم اليشكري قال سمعت أمي تحدث أن أمها انطلقت إلى البيت حاجة والبيت يومئذ له بابان قالت فلما قضيت طوافي دخلت على عائشة قالت قلت يا أم المؤمنين إن بعض بنيك بعث يقرئك السلام وإن الناس قد أكثروا في عثمان فما تقولين فيه قالت لعن الله من لعنه لا أحسبها إلا قالت ثلاث مرار لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو مسند فخذه إلى عثمان وإني لأمسح العرق عن جبين رسول الله ﷺ وإن الوحي ينزل عليه ولقد زوجه ابنتيه إحداهما على إثر الأخرى وإنه ليقول اكتب عثمان قالت ما كان الله لينزل عبدا من نبيه بتلك المنزلة إلا عبدا عليه كريما.

علي بن أبي طالب

"عن النزال بن سبرة الهلالي قال: قلنا لعلي: يا أمير المؤمنين، فحدثنا عن عثمان بن عفان. فقال: ذاك امرؤ يُدعى في الملأ الأعلى ذا النورين، كان خَتَن رسول الله على ابنتيه (أي: زوج ابنتيه)، ضمن له بيتًا في الجنة".

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد بن الحنفية قال: "بلغ عليًّا أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد، قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السهل والجبل. قال مرتين أو ثلاثًا".

عبد الله بن عباس

قال في مدح عثمان وذم من ينتقصه: "رحم الله أبا عمرو، كان والله أكرم الحفدة، وأفضل البررة، هجادًا بالأسحار، كثير الدموع عند ذكر النار، نهاضًا عند كل مكرمة، سباقًا إلى كل منحة، حبيبًا أبيًّا وفيًّا، صاحب جيش العسرة، ختن رسول الله، فأعقب الله على من يلعنه لعنة الملاعين إلى يوم الدين".

أنس بن مالك

يقول أنس بن مالك: "صعد النبي جبل أحد وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: اثْبُت أُحُد، فَإِنَّمَا عليْك نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشهيدان.

وقيل لأنس بن مالك: إن حب علي وعثمان لا يجتمعان في قلب. فقال أنس: كذبوا، لقد اجتمع حبهما في قلوبنا.

أبو هريرة

عن أبي مريم قال: "رأيت أبا هريرة يوم قتل عثمان وله ضفيرتان وهو ممسك بهما، وهو يقول: قتل والله عثمان على غير وجه الحق".

عبد الله بن عمرو بن العاص

أخرج أبو نعيم في معرفة الصحابة بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: عثمان بن عفان ذو النورين قُتل مظلومًا، أوتي كِفْلَيْن من الأجر.

إدارة عثمان للدولة الإسلامية

بدأ عثمان بن عفان رضي الله عنه إدارة شؤون الدولة بعد مبايعته بالخلافة. واتخذ من الصحابة رضوان الله عليهم أعواناً يساعدونه على ذلك. كما سطر رضي الله عنه العديد من الإنجازات خلال فترة خلافته وإدارته للدولة الإسلامية،والتي بقيت آثارها حتى يومنا هذا نستعرض منها ما يلي:

- في مجال القضاء كان ينظر في الخصومات بنفسه، ويستشير الصحابة رضوان الله عليهم فيما يحكم به، ومن مآثره اتخاذه دارا للقضاء.

- أقر الولاة الذين قد تم تعيينهم من قِبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ولاياتهم عاماً كاملاً، بعد ذلك أبقى البعض وعزل آخرين: وعمل على التعيين في هذه الأمصار حسب الحاجة وذلك بعد الأخذ بمشورة الصحابة رضوان الله عليهم.

- قام بضم بعض الولايات إلى بعضها لما يراه في مصلحة المسلمين، فقد ضم البحرين إلى البصرة، وضم بعض ولايات الشام إلى بعضها.و كان دائم النصح لولاته بالعدل والرحمة وإعطاء حقوقاللمسلمين ومطالبتهم بما عليهم من واجبات.

- في الشؤون المالية لم يغير من سياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه المالية، وكان عهده عهد رخاء على المسلمين، من خلال الأسس العامة التالية لسياسته المالية:

- تطبيق سياسة مالية عامة إسلامية.

- عدم إخلال الجباية بالرعاية.

- أخذ ما على المسلمين بالحق لبيت مال المسلمين.

- أخذ ما على أهل الذمة لبيت مال المسلمين بالحق وإعطاؤهم ما لهم وعدم ظلمهم.

- تخلق عمال الخراج بالأمانة والوفاء.

- تفادي أية انحرافات مالية يسفر عنها تكامل النعم لدى العامة.

وكل هذه السياسات تُدرس اليوم في أرقى جامعات العالم، مما يدل على حنكة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ودرايته بالأمور السياسية والاقتصادية بالفطرة رضي الله عنه وأرضاه.

استشهاد عثمان بن عفان

في أواخر عهده ومع اتساع الفتوحات الاسلامية ووجود عناصر حديثة العهد بالاسلام لم تتشرب روح النظام والطاعة ، أراد بعض الحاقدين على الاسلام وفي مقدمتهم اليهود اثارة الفتنة للنيل من وحدة المسلمين ودولتهم ، فأخذوا يثيرون الشبهات حول سياسة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وحرضوا الناس في مصر والكوفة والبصرة على الثورة، فانخدع بقولهم بعض من غرر به ، وساروا معهم نحو المدينة لتنفيذ مخططهم، وقابلوا الخليفة وطالبوه بالتنازل، فدعاهم الى الاجتماع بالمسجد مع كبار الصحابة وغيرهم من أهل المدينة، وفند مفترياتهم وأجاب على أسئلتهم وعفى عنهم، فرجعوا الى بلادهم لكنهم أضمروا شرا وتواعدوا على الحضور ثانية الى المدينة لتنفيذ مؤامراتهم التي زينها لهم عبدالله بن سبأ اليهودي الأصل والذي تظاهر بالاسلام.

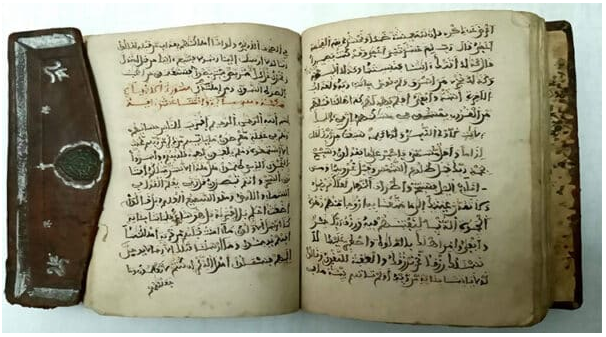

في شوال سنة 35 من الهجرة النبوية، رجعت الفرقة التي أتت من مصر وادعوا أن كتابا بقتل زعماء أهل مصر وجدوه مع البريد ، وأنكر عثمان -رضي الله عنه- الكتاب لكنهم حاصروه في داره (عشرين أو أربعين يوماً) ومنعوه من الصلاة بالمسجد بل ومن الماء.

ولما رأى بعض الصحابة ذلك استعدوا لقتالهم وردهم لكن الخليفة منعهم اذ لم يرد أن تسيل من أجله قطرة دم لمسلم ، ولكن المتآمرين اقتحموا داره من الخلف (من دار أبي حَزْم الأنصاري) وهجموا عليه وهو يقرأ القرآن وأكبت عليه زوجه نائلة لتحميه بنفسها لكنهم ضربوها بالسيف فقطعت أصابعها ، وتمكنوا منه -رضي الله عنه- فسال دمه على المصحف ومات شهيدا في صبيحة عيد الأضحى سنة (35 هـ) ، ودفن بالبقيع وكان مقتله بداية الفتنة بين المسلمين الى يومنا هذا.

قتل عثمان بن عفان في السنة 35 للهجرة وبشكل شنيع. وكان سنه عند قتله اثنان وثمانون عاماً. ودفن باالبقيع. وكان مقتله على يد مجموعة من الساخطين على حكمه، والذين تم اعتبارهم لاحقًا مارقين وخارجين على إجماع أهل الحل والعقد، وكان مقتله مقدمة لأحداث جسام في تاريخ المسلمين مثل موقعة الجمل (36 هـ) وموقعة صفين.

خلاصة

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه مثالًا حيًّا في التواضع والعطاء، وصاحب مواقف عظيمة تشهد له على مرّ التاريخ. جسّد بتصرفاته وأخلاقه المثالية قيم الإسلام الرفيعة، وتفانى في خدمة الأمة، وقدّم نموذجًا فريدًا من التضحية والصدق. لقد ترك عثمان أثرًا لا يُمحى في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية، وكان سباقًا إلى فعل الخير، حتى أصبح من عظماء الإسلام. قصة عثمان تبقى حية في قلوب المسلمين، وتبقى سيرته ملهمةً لكل من يسعى إلى الاقتداء بالأخلاق النبيلة والسعي لخدمة المجتمع بإخلاص.